

## الموروث الشعبي ودوره في تعزيز قيم العمل وخدمة التنمية المستدامة

### المثل الشعبي الجزائري أنموذجا

د . بشير مولاي لخضر - جامعة غرداية

Bachir.ossama@gmail.com

أ. نورة حاج قويدر - جامعة غرداية

noura47hadj@gmail.com

تتضافر مجموعة من العناصر الثقافية والفكرية في التأثير على المجتمعات والشعوب، فتعمل على ترسيخ جملة من القيم الإيجابية أو السلبية في نفوس الأفراد، مما يؤدي إلى إعاقة حركتها أو بث النشاط في أوصالها وزيادة فاعليتها وحيويتها على الإنتاج والعمل، وتأتي في طليعة تلك العناصر الثقافية الأمثال الشعبية العامة، لكونها صورة تعكس تجارب الأجيال ومواقفهم على الصعيدين والخاص و العملي من الحياة، ومن ثم فإنه يمكننا القول بأن الأمثال الشعبية لها دور أساسي ومهم في تكريس قيم العمل و التنمية لدى الأفراد. لذلك نتقدم بهذه الورقة البحثية للكشف عن هذا الدور الذي تؤديه الأمثال الشعبية في التنمية الاجتماعية.

### 1/ في مفهوم التنمية والتنمية المستدامة:

تتداخل حقول كثيرة في توجيه مفهوم التنمية، بما جعله غير قار نسبيا، "إذ تخضع دوما لتأثيرات حقول كثيرة كالاقتصاد والسياسة والاجتماع، فمن مسحة اقتصادية بحتة إلى تعريف شبه اجتماعي إلى تأثير بمقولات الحرية، والاستدامة البيئية وهكذا"<sup>1</sup>؛ و هو ما حال دون إجماع حوله على الرغم من مرور فترة

---

<sup>1</sup> التراث الشعبي والتنمية بحث في العلاقة، عريف عبد الرزاق، حليلو نبيل، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع30، 2017، ص: 267 .

طويلة على ظهوره. وفي أدبيات الأمم المتحدة تشخص التنمية على أنها عملية تصميم كتهيئة للظروف الملائمة للتقدم الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ككل. وهي تعتمد على مشاركة المجتمع إلى أقصى حد ممكن<sup>1</sup>. وقد ارتبط مفهوم التنمية في أغلب المعاجم بالاقتصاد، ولذلك فهو يرد على أنه: "عملية تحسين نوعي ودائم للاقتصاد وطرق تسييره"<sup>2</sup> وأنه "التوليف بين التغيرات الذهنية والاجتماعية لمجتمع ما، بما يجعله قادرا على رفع من نتاجه الكلي بصفة دائمة ومتراكمة"<sup>3</sup>.

وعلى الرغم من التعدد المصطلحي لمفهوم التنمية المستدامة، كالتنمية التضامنية والتنمية البشرية والتنمية المتواصلة والتنمية الشاملة... إلى أنه يمثل منظورا مغايرا للمفهوم التقليدي للتنمية يتجاوز البعد الاقتصادي والمادي البحت ولذلك يقترح البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة تعريفا شموليا للتنمية البشرية فيقدمها على أنها: "عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس. وتركز تلك الخيارات الأساسية في أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل وأن يكتسبوا المعرفة وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة. ومن ثم فإن للتنمية جانبين، الأول هو تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين الصحة والمعرفة و المهارات. والثاني يتمثل في انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة في المجالات الشخصية أو الإنتاجية أو الثقافية أو الاجتماعية أو السياسية. ولكي تكون التنمية البشرية ناجحة فإنه لا بد من تواجد توازن دقيق بين الجانبين"<sup>4</sup>. ومن الواضح أن هذه الصياغة والتمثل لمفهوم التنمية يتطلعان إلى الاستجابة لمختلف مطالب الفرد المادية والمعنوية، وإشباع حاجاته على تنوعها، بالصورة التي تحفظ كيانه وكرامته.

---

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص ن.

<sup>2</sup> التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، العايب عبد الرحمن، أطروحة دكتوراه مخطوطة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة سطيف، 2010 / 2011، ص: 5

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص ن.

<sup>4</sup> برامج الأمم المتحدة الإنمائية، تقرير التنمية البشرية لعام 1990، نيويورك، جامعة أكسفورد القاهرة، وكالة الأهرام للإعلان، ص، 19. نقلا عن المرجع السابق، ص: 9.

2/ التراث الشعبي: يحيل مصطلح التراث الشعبي مفهوما على كل "ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد،

وعادات وتجارب، وخبرات، وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني، والسياسي، والتاريخي، والخلقي، ويوثق علائقه بالأجيال الغابرة، التي عملت على تكوين هذا التراث وإغناؤه"<sup>1</sup>. أو هو "ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل، نقول: التراث الإنساني، التراث الأدبي، التراث الشعبي، وهو يشمل كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر وغناء وموسيقى، ومعتقدات شعبية وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات"<sup>2</sup>.

ومن الطبيعي أن الكيان المجتمعي يتجسد في صورة نظم، كالنظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام الديني... "ويتكون كل نظام من قيم تحدد هويته، ويعكس النظام هذه القيم في مجموعة من المعايير التي قد تكون مكتوبة فتأخذ شكل القوانين أو غير مكتوبة فتأخذ شكل العرف أو التراث. إنه يمثل بشكل من الأشكال صوت الضمير الجمعي - بلغة دوركايم - ودرجة تبني المجتمع لهذا الكل تكشف عن المسار الذي ينتهجه هذا المجتمع"<sup>3</sup>.

وهناك من الباحثين من يرى في هذا التراث شيئا إيجابيا و من هؤلاء الباحث عبد العزيز بن عثمان التويجري إذ يقول: "إن الاعتزاز بالتراث والمحافظة عليه مسؤولية مقدسة فإذا انهدم الماضي فإن دعوته ضرب من المحال وإن أعظم الجرائم قسوة أن يهدم الناس ما ورثوه عن أسلافهم من تراث وهذه ليست نزعة

<sup>1</sup> المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، ط1(1979)، ط2: (1984)، ص: 63.

<sup>2</sup> الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مجموعة من المؤلفين، الرابطة الولائية للفكر والإبداع، بولاية الوادي، مزوار للنشر، 2006. ص: 48

<sup>3</sup> التراث الشعبي والتنمية بحث في العلاقة، عريف عبد الرزاق، حليلو نبيل، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مرجع سابق، ص: 268 .

عاطفية معناها الرجعية والجمود وإنما هي فطرة أصيلة تكمن في نفوسنا جميعا "ولا تعارض مطلقا بين الاتجاه إلى المستقبل والمحافظة على التراث بل إن التركيز على التراث كقاعدة إنما يجعل النظرة إلى المستقبل أكثر وضوحا وقوة"<sup>1</sup> وبالمقابل فإن هناك (من المغرضين) من ينظر إلى التراث بنظرة رجعية ولذلك فهم يرون " أن التعلق بالتراث إنما هو تعلق بفراغ لا يفيدنا أي فائدة في حياتنا العصرية، ومن الخير أن نقوم بيننا وبينه سدود صفيقة، حتى لا يشغلنا عن حاضرننا الذي نعيشه وحتى لا نلم به أي إمام قد يعوقنا عن الحركة في حياتنا، وإن واجبنا ألا ننظر فيه ولا نعتد به أي اعتداد، بل نهمله إهمالا ولا ندعه كما هو في ظلماته، فلا نحبيه ولا نخرجه إلى النور حتى تنقطع كل علاقة لنا به وحتى نفصم عنه انفصاما كليا."<sup>2</sup>

بهذا التجلي إذا يشخص التراث تمظهرها وسلطة وفاعلية، ومن ثم فسيكون من المفيد التطلع إلى استجلاء إحدى صور هذا التمظهر للتراث، و نعني بذلك المثل الشعبي، من حيث دلالاته وسلطته المعنوية وعلاقته بقيم العمل والتنمية.

### 3/ المثل الشعبي: في الدلالة و سلطة الحضور:

" المثل الشعبي جملة مفيدة موجزة متوارثة شفاهة من جيل إلى جيل (...) شائعة الاستخدام عند مختلف الطبقات، وهو يستخدم الإيجاز و الإبداع والإيحاء مرة والصرامة مرات بألفاظ دارجة ولغة محكية، يعتبر صورة المجتمع بشكل عام، وصورة مصغرة عن قائله، متفقا مع العادات والتقاليد والمثل، ومعبرا عن آراء الناس"<sup>3</sup> وفي ضوء ذلك نتحدد أهم خصائص الأدب الشعبي في : الشيوخ والتداول، اللغة الدارجة

---

<sup>1</sup> التراث والهوية، د/عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو 1432هـ/2011م، الرباط، المملكة المغربية، ص: 15.

<sup>2</sup> في التراث والشعر واللغة، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ص: 64.

<sup>3</sup> التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، التلي بن الشيخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 ، ص: 19

المحكية، التفاوت بين الأسلوب التصويري المجازي والأسلوب المباشر، الطابع التمثيلي من حيث هو صوت للوجدان الجمعي.

أما من حيث السلطة وقوة الحضور، فإن الأمثال الشعبية ماهية ووظيفة هي "...دستور وقانون العامة يعتنقها الناس ويؤمنون بها بشدة، لذا أثرت فيهم وحددت سلوكهم وتصرفاتهم واعتمدوا عليها في دعم كلامهم وتأييد أقوالهم وتأكيد آرائهم. ولهذا وجدنا الأمثال وكأنها تكاد تكون نوعا من السلطة الأدبية تفرض على العامة من الناس شكلا معينا في تعاملهم ويأخذ بها معظم الأفراد، شأنها شأن كل الظواهر الاجتماعية الأخرى الضاغطة على أفراد المجتمع<sup>1</sup>.

وإذا كان العمل - وهو الركيزة المحورية للتنمية - في أبسط تعريفاته: "هو كل جهد أو نشاط مادي أو معنوي، عضلي أو فكري يبذله الإنسان من أجل تحقيق رغبة اجتماعية، نفسية، ثقافية، اقتصادية، سياسية، عقائدية، كإنتاج وصناعة وتركيب شيء معين سواء أكان ماديا أو معنويا في هذا الوجود... وقد يقابل هذا الفعل وهذه الحركة مكافأة مادية أو معنوية يستثمرها صاحبها أي العامل من أجل تحقيق وسد حاجة معينة مرتبطة بحياته في إطارها الشامل وعلى جميع المستويات (البيولوجية، الاجتماعية، النفسية، الثقافية، الاقتصادية...)". فالعمل هو مجموعة النشاطات الإنسانية المنسقة من أجل إنتاج أو المساهمة في إنتاج ما هو مفيد<sup>2</sup>.

إذا كان العمل على ذلك النحو في أبسط تجلياته المادية، بصرف النظر عن امتداداته الأخرى، فالسؤال المحوري هنا هو: كيف يتجلى العمل في منظور الثقافة الشعبية من خلال أمثالها؟ ما هي مكانته؟ وماذا كانت وسائل تلك الأمثال في الحض عليه والترغيب فيه؟

<sup>1</sup> صورة العمل ودلالاته الاجتماعية والثقافية في المثل الشعبي الجزائري، محمد سعيدي إنسانيات المجلة الجزائرية في

الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية <https://journals.openedition.org/insaniyat/11442>

<sup>2</sup> المرجع السابق

تعد الأمثال الشعبية رافدا حيويا من روافد المنظومة الثقافية للمجتمع، وهي مجال خصيب للقيم التي تواتر أفرادها على تمجيدها والاحتكام إليها، ويتضمن الكثير منها احتفاء بالعمل وحثا عليه، وتنفيرا من الكسل والبطالة وتبغيضا لهما، ولا يتوانى المثل الشعبي في استخدام مختلف الأدوات والوسائل التي تؤدي إلى تلك الغاية وتعين على تحقيقها. يشمل ذلك الأدوات البيانية والإيقاعية فضلا عن صواب الفكرة وأصالة المبدأ وقوة الحجة . ويرقى العمل فيها إلى أن يكون مظهر هوية للإنسان وانعكاسا لمنظور ثقافي قار ومتجذر، لا مجرد سبيل للاسترزاق. وتحفل الأمثال الشعبية بالكثير من المعاني ذات الصلة الوثيقة بوضعيات تلتقي جميعها في تكريس الإيمان بالعمل كقيمة ذات أولوية قصوى تتضاءل أمامها كل الموانع أيا كانت طبيعتها أو درجتها.

وفي سبيل تسليط الضوء على هذا المنظور للعمل وقيمه في الوجدان الشعبي من خلال الأمثال الشعبية، آثرنا محاولة رصد المداخل التي استثمرها المثل الشعبي، والآليات الأسلوبية التي وظفها، يحاول من خلالها تعزيز مبدأ العمل كقيمة مجردة أو ملتبسة بحاجات ونوازع نفسية واجتماعية ودينية ، وذلك في إطار بنية دلالية كبرى هي: تمجيد العمل ورفض الكسل. بما ينعكس إيجابا على التنمية حتى وإن كانت في حدود المنظور الشعبي .

#### 4-1 / المدخل الديني والعقدي: ويترجمه المثل الشعبي :

##### 4-1.1: "الخدمة مع النصارى ولا لقعاد خسارة"<sup>1</sup>

فنص المثل ومن منطلق التمجيد للعمل (الخدمة ) يعمد إلى الجمع والمجاورة بين طرفين متباعدين، مقدرا إمكانية اجتماعهما على سبيل الضرورة، تجنباً وهروبا من عاقبة أفدح هي القعاد أي "البطالة". فعلى ما

<sup>1</sup> التشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي، محمد سعيدي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2009، ص: 13

بين المسلمين والنصارى من اختلاف عقدي، ولما يستقر في نفوس أبناء الفريقين من عواطف وذكريات رسختها الحروب، بما يجعل من مخالطة النصارى الرضى بمعاملتهم أمرا متعذرا ومستبعدا، مع كل هذه العوائق يفسح المثل الأفق للقاء وتعامل هو العمل لا إكراما للنصراني، ولكن هروبا من عار البطالة.

ولا تأتي الجملة الثانية في نص المثل لغرض تحقيق الانسجام الإيقاعي فحسب، ولكنها تستثمر للغاية الحجاجية، فالاجتزاء بعبارة المثل ( الخدمة مع النصارى ) وحدها لا يحقق الغاية التربوية من المثل ولا يملك القوة الحجاجية المؤهلة للتأثير، بل إن أثرة قد يكون عكسيا؛ ولذلك تأتي العبارة الثانية مضطلة بالوظيفة الإقناعية محيلة على بدهية: الضرورات تبيح المحظورات، و قاعدة بعض الشر أهون من بعض.

4-1.2: "راس الكسلان يسكنه الشيطان" و " الحركة بركة " <sup>1</sup> ، فالشيطان من منطلق عقدي هو مثال الشر، وهو مصدر الوسوسة بكل إثم، وعلى سبيل التهيب من عواقب البطالة والركون إلى الكسل، يتوسل المثل بالأداء التصويري بحيث يتجلى رأس البطل موطنا ومسكنا للشيطان، ينفث فيه وساوسه ويغري بكل الشرور، وفي ذلك إحالة على رجحان وقوع البطالين فريسة للانحراف بما يعرضهم لكل مصير سيء، أما المثل الثاني فينبني على الوعد والأغراء بنية التحفيز، فيحث على الحركة لأنها مصحوبة بالبركة، ويجعل من الاثنتين متلازمتين، بحيث تكون الثانية مشروطة بالأولى. ويلحظ بوضوح في نطاق المثل معنى التنفيس و زرع الأمل فلا عبرة باليأس المسبق ونظير هذا قولهم : "تحركوا ترزقوا" <sup>2</sup> .

إن الأمثال الشعبية السابقة تستثمر جميعها العاطفة الدينية في نفس المتلقي، من أجل حمله على العمل، من خلال استحضارها ضمنا لثنائية متلازمة: الفوز برضى الله والأمن من سخطه، وبذلك تكون قد تحركت في اتجاهين : اتجاه التحذير والتبغيض:

---

11 صورة العمل ودلالاته الاجتماعية والثقافية في المثل الشعبي الجزائري، محمد سعدي إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية <https://journals.openedition.org/insaniyat/11442>

<sup>2</sup> المرجع نفسه

(المؤمن البطال أسوأ من النصراني العامل. المسلم البطال حليف للشيطان).

واتجاه آخر وهو الترغيب والترهيب: (المسلم الساعي مشمول بالبركة وموعود بالرزق).

4-2/. المدخل الاقتصادي والاجتماعي: لم ينحصر الخطاب المثالي في حدود تمجيد العمل بوصفه

قيمة مجردة تطلب لذاتها، من حيث هي معيار لإنسانية الفرد، ولكنه استحضر الفرد ونوازعة وحاجاته،

وعيشه ضمن مجموع، تتعزز فيه مكانته بقدر استقلاله واعتماده على نفسه، وعزوفه عن اللجوء إلى

الناس والتماس رفدهم في كل مناسبة، فاستثمر المثل الشعبي هذا الجانب وعني به وركز عليه من

أجل تعضيد مضمونه وقدرته على التأثير وهو ما نلمسه في الأمثال التالية:

4-2.1: أخدم بالرطل ولا تعطل<sup>1</sup>

4-2.2: أخدم بصوردي (صولدي) وحاسب البطال<sup>2</sup>.

4-2.3: الرجل بالفحم، يجي بالفقة واللحم<sup>3</sup>.

4-2.4: الله يرحم من مات وخلي لفتات<sup>4</sup>

فالعامل طريق الناس إلى الكسب، على أنهم يفاضلون بين الأعمال بمقدار ما تدر من الأجر،

فبيعهم ذلك على النفور من المبتذل منها، أو زهيدة الأجر المنجر من ورائها، لتفضل- عند البعض

- تبعا حياة الراحة والعطلة على تكبد المشقة لقاء النزر الذي لا يكاد يسد الرمق، ويتذرعون بذلك

لتسويق مذهبهم في التراخي والعزوف عن العمل.

لكن الذهنية الشعبية وإيماننا منها بقيمة العمل وجدواه وأثره، بالقياس إلى البطالة وتبعاتها

وبمعيار المفاضلة تؤثر: العمل زهيد الأجر على البطالة، وهو ما يستفاد من الأمر في المثلين الأول

<sup>1</sup> الأمثال الشعبية الجزائرية، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، دت، ص: 52

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص ن

<sup>3</sup> م ن، ص ن.

<sup>4</sup> م ن، ص 148.



والثاني، وهما أي المثلان يعتمدان منطق المقابلة : أخدم # لا تعطل ،أو المفاضلة :أخدم - حاسب ،بحيث يتجلى العامل في كل أحواله أفضل حالا من البطل.

أما المثلان الأخيران ،فإنهما وبالرغم من حرصهما على التشاكل الإيقاعي، الذي أفسح مجالا لألفاظ محددة كان يمكن ورود غيرها ؛ (مات / الفتات ) ،( الفحم / اللحم) ، إذ لا يتوجب ضرورة أن يكون المخلف فتاتا، كما لا يلزم أن يكون القوت لحما، على الرغم من ذلك، فإنهما يعبران عن معنى المدح والثناء على العامل، الأول الذي حفظ ماء وجهه، وأمن لأهله وعياله ما يقيهم ذل السؤال والحاجة، مهما كان قليلا، والثاني الذي لم يثنه ابتذال الحرفة ومشقتها وهي جلب الفحم وبيعه على بخس ثمنه، من اتخذه عملا يبوء به على أهله بالقوت فيجنبهم العوز .

ومن الواضح أن تلك الأمثال الشعبية، اتخذت من الشأن الاقتصادي والاجتماعي منطلقا لها: فالمال عماد الحياة والمعاملات والحاجة إليه لا تدفع، وقليل منه نتاج عمل خير من البطالة و التسول.

#### 3-4 / المدخل النفسي والأخلاقي:

يخاطب المثل الشعبي الفطرة السليمة، فيتجه إلى الأصيل من المشاعر والعواطف والأخلاق يحاورها بهدف التأثير والإقناع، ففضلا عن استثمار الأمثال الشعبية للمداخل السابقة طريقا إلى الترغيب في العمل والتنفير من البطالة، نراها تستثمر مدخلا آخر لا يقل أهمية عن سابقه، ويتصل الأمر هنا بالمدخل الأخلاقي والنفسي، بحيث يستفز المثل الشعبي عاطفة الإباء والأنفة في النفوس، يدعوها إلى التعفف والتنزّه، ويصفها ضمنا بالخسة والندالة في حال إقبالها ورضاها بالتسول، فمن مظاهر هذا الاستحضار للأخلاقي وسيلة للتأثير:

1.3-4: اليد اللي تمد خير من اللي تشد<sup>1</sup>.

2.3-4: اضرب على ذراعك تاكل المسقي.

---

<sup>1</sup> الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، قادة بوطارن المصدر سابق، ص: 111.

4-3.3: نخدم حتى نسير كعبة ولا وقفة قدام الرجال صعبة.

4-3.4: المكسي بنتاع الناس عريان<sup>1</sup>

فجميع الأمثال السابقة تلتقي في إحالتها على استشارة غيره الملتقي وعزة نفسه، بدعوته إلى التجل بالعدة والترفع عن أن يكون في موقع المستجدي أو العالة على الغير، والتعرض لأذى المن والتفضل بالنعمة، فاليد العليا خير من السفلى بداهة، واليد الواهبة مصدر فخر، والمستعطية مبعث هوان وذلة، و المثل الثاني بقدر ما يتضمن حثا على الاجتهاد والنصب يقال للمتأفف المتبرم من رداءة ما يقدم له أو تواضعه، فكأن فيه تعريضا ببطالته وسخرية من سخطه، أما المثل الثالث ففيه تعبير صريح عن الاستعداد لتحمل العمل الشاق المنهك صيانة للعرض من الاستجداء أو ثقل الديون. ولا يخفى ما في المثل الأخير من لمز وتعريض، بكونه عالة على الغير لا حق له في ادعاء ما يحوز أو الافتخار به، فضلا عن كونه لا يؤمن من تحوله وذهابه إذ لا سلطان له عليه. وقد تنوعت وسائل المثل الشعبي في النماذج لسابقة من أجل الإغراء بالعمل والحث عليه، والتنفير من العجز والبطالة والتبغيض لهما، بالمقابلة بين (الشد والمد ) كما في المثل الأول، والمطابقة بين الاكتساء والعري في المثل الرابع، وعلى الطلب والجزاء المثل الثاني، والتقرير والنفي في المثل الثالث.

وإذا نفترض أن تلك الأمثال لا يتوجه بها إلى الأغنياء أو ذوي اليسار، فإن تلك الأمثال حرصت على أن تستثير غيره المتلقي وانتصاره لعرضه بحثه على العمل توقيا للأذى يصيبه جراء الاستجداء والاتكال على الغير. وبذلك لا يكون العمل وسيلة للكسب فحسب، ولكنه معيار رجولة ودليل مروعة تأبى الحيف و الهوان.

أما على الصعيد النفسي، فإن المثل الشعبي يستثمر بنجاح بالغ عاطفة الإشفاق والخوف التي تبررها سنن الكون ونواميس الحياة، فلا يكون سوى العمل والحرفة سبيلا لاتقاء تبعاتها.

<sup>1</sup> الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، قادة بوطارن، المصدر سابق، ص: 36 .

تختلف الوجهات الثقافية والفكرية والفلسفية والدينية لكل مجتمع بل عبر كل طبقة من طبقاته، وخير أداة نقيس بها اختلاف تلك التوجهات هو الموروث الشعبي عبر تفرعاته المختلفة من خلال العادات والتقاليد، وفي المثل الشعبي الذي يكرس هو الآخر تباينا في الرؤى والأفكار، ويلخص حكمة الشعب بلغة بليغة، بهدف الاسترشاد والاتعاظ بها لكن في المقابل تتفاوت نسبة الحكمة التي نأخذها من كل مثل شعبي، ذلك لأنه يعكس خبرة أناس من طبقة حكيمة وراشدة، وآخرين ليسوا بنفس القدر من المسؤولية والحكمة، فيعبروا هم أيضاً عن قيمهم و رؤاهم، فتكون نتيجة ذلك أن تطفوا على السطح أمثال شعبية تروج قيما سلبية. فالحقيقة التي يجب التسليم بها أن ليس كل الأمثال الشعبية على قدر من الحكمة وسداد الرأي، بل نجد بعض الأمثال تكرس وتدعم مبادئ ودعوات غير لائقة، ولا تساعد بدورها على تحقيق تنمية في المجتمع، بل تزيد من تخلفها وتقهرها.

ومن بين تلك القيم السلبية التي تعكسها الأمثال الشعبية، تمجيدها للكسل والتواكل وتكريس مبدأ التأجيل والتسويف. وفي المعاجم اللغوية نجد بأن الكسل يعرف على أنه "(الكسل) عن الشيء : تتأقل وفتر عما لا ينبغي أن يتأقل عنه، فهو كسلٌ وكسلان، كسالى، وكسلى، وهي كسيلة وكسلى، وكسلانة. و(أكسل) الأمل الرجل، جعله متأقلاً، (كسله)، أكسله (تكاسل): تعمد الكسل"<sup>1</sup>.

كما يقول عنه الإمام النووي أيضا "هو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه. أو هو كما يقول الطيبي"التأقل عما لا ينبغي التأقل عنه"<sup>2</sup>.

والكسل سلوك تنبذه كل الأعراف الدينية والاجتماعية والثقافية، لأنه يبعث على تشييط الهمم والنزول بها إلى القاع، لكن هناك من الناس من يمجّد هذا السلوك فجاءت عبارات هما امتدادا لرؤيتهم ومعتقداتهم.

<sup>1</sup> المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص: 788.

<sup>2</sup> خالد أبو شادي، الحرب على الكسل، طيبة، القاهرة، ط1، ص: 22.

وإذا قمنا بتصنيف تلك الأمثال الشعبية التي تمجد الكسل و تقدسه، اكتشفنا أنها متفاوتة، فبعضها صريح مباشر في هذه الإحالة، وبعضها الآخر هو نتاج تحوير لدلالة أولية صالحة، ثم استثمارها أفراد وحرصوا على تداولها وتوجيهها قصرا لصالح معاني الخمول والتراخي.

#### 1.5/أمثال تمجد التواكل تصرّحا: إذ تعكس هذه الأمثال مبدأ التواكل و التراخي والتناقل عن القيام

بالأعمال التي يجب على المرء القيام بها، كل ذلك بشكل صريح مباشر، ومن هذه الأمثال نذكر: (وقية زهر خير من قطار فهامة)<sup>1</sup>، (إذا اعطاك العاطي ما تشقى ما تباطي)<sup>2</sup>، (حشيشة طالبة معيشة)<sup>3</sup>، (كل تعطيلة فيها خيرة)<sup>4</sup>، (قل من ذا الشي ويعيش)<sup>5</sup> فنلاحظ من خلال هذه الأمثال أننا أمام عبارات تدعم الكسل وتسوغ للتقاعس عن القيام بالواجبات، بذريعة الزهر والحظ والسعد، وأخرى تعول على الحاضر فقط دون أن تعبأ بالمستقبل ومفاجآته ... وهي جميعها تستعين بوسائل أسلوبية تحاول عن طريقها تحقيق قوة الإقناع والتأثير، والالتفاف والتمويه على الحقيقة النقيضة، من خلال الإضافة والتضاد: وقية زهر # قطار فهامة، فقليل من (الزهر) يغني عن كثير من الفطنة، وهذا وإن ثبتت له شواهد فإنه لا يمكن أن يتخذ قاعدة عامة في السلوك والحياة، وقد يستعين المثل الشعبي في سبيل الإقناع بأسلوب الشرط، وهو الأسلوب الذي يحيل على معنى التلازم بين المقدمات ونتائجها كما في (إذا اعطاك العاطي ما تشقى ما تباطي)<sup>6</sup> ومع أن هذا المثل ونظائره يفهم منها مبدئيا الحث على التوكل إلا أنها باتت ذريعة للتواكل والتراخي والقعود عن اتخاذ الأسباب بما يجعلها منها شعارات هدامة تقف في وجه العمل والتنمية على صعيد عام. ولا يخفى ما في بناء هذا المثل من قيام عباراته على التسجيع ذي الوظيفة الإغرائية والتمويهية، حتى وإن اضطر ذلك إلى استخدام

<sup>1</sup> الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال ، مصدر سابق، ص: 19 .

<sup>2</sup> أمثال محلية لشائعة ومتداولة شفويا في الجنوب الجزائري وفي منطقة غارداية ومتليلي.

<sup>3</sup> أمثال محلية شائعة ومتداولة شفويا في الجنوب الجزائري وفي منطقة غارداية ومتليلي

<sup>4</sup> أمثال محلية شائعة ومتداولة شفويا في الجنوب الجزائري وفي منطقة غارداية ومتليلي

<sup>5</sup> أمثال محلية شائعة ومتداولة شفويا في الجنوب الجزائري وفي منطقة غارداية ومتليلي

<sup>6</sup> أمثال محلية شائعة ومتداولة شفويا في الجنوب الجزائري وفي منطقة غارداية ومتليلي

الدخيل على غرار (تباطي) الاستفادة من اللغة الفرنسية : combattre وإمعانا في التأثير تأتي تنمة المثل (كل شي يجي متواطي).

وللمجاز والطابع التصويري دور كبير في بنية المثل الشعبي، فهو في كثير من حالاته يلجأ إلى الصورة المجازية المعبرة والموحية يحقق بها التأثير، كما في التشبيه في عبارة المثل (حشيشة طالبة معيشة)<sup>1</sup>، إذ يضرب هذا المثل عادة للتعبير عن معنى الرضى والقناعة بالقليل، و لكن خطورته تكمن في تسويغه لنوع من الخمول، وإماتته عواطف التحدي وركوب الصعاب من أجل تغيير الواقع إلى الصورة الأفضل، وهذا القبيل من المفاهيم يتناقض كليا مع أي رغبة في النهوض والتغيير الإيجابي على المستويين الفردي والجماعي.

وعلى الرغم من كل ما سبق، فإن تلك الأمثال المجددة للتواكل والتراخي، لا ترتقي لتعبر عن الوجدان الجمعي للشعب، فهي في جانب ذات صبغة تمثيلية لفئة محدودة وشاذة تستلذ الراحة والكسل، وبعضها الآخر هو نتاج نوع من التحريف للدلالة الأولى المثل التي لم تكن تعدو إفادة القناعة أو الزهد، ثم طالها نوع من التحوير السلبي الذي شوه مقاصدها الحقيقية، فباتت محيلة على معنى السخرية من العمل ومحترفيه وإن بصورة ضمنية. ولأجل ذلك فإن "الإنسان العاقل عن العمل يظل في البؤرة الفلسفية للذاكرة الشعبية محل سخط واتهام وبالتالي يبقى مؤهلا لفراغ مادي ومعنوي رهيب يقوده حتما إلى سلوكات خطيرة قد تدمره وتدمر ذات مجتمعه"<sup>2</sup> ومثل هذا الموقف هو ما يتعزز حضوره في الأمثال الشعبية نفسها في رسمها للباطلين : (الكسل ما يعطي العسل). (لا وجه لسعاية لا ذراع للخدمة). اللسان الطويل والذراع البارد<sup>3</sup> ...

<sup>1</sup> أمثال محلية شائعة ومتداولة شفويا في الجنوب الجزائري وفي منطقة غارداية ومتليلي

<sup>2</sup> صورة العمل ودلالاته الاجتماعية والثقافية في المثل الشعبي الجزائري، محمد سعدي إنسانيات المجلة الجزائرية في

الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية ص:13 مرجع سابق <https://journals.openedition.org/insaniyat/11442>

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

من خلال ما سبق يمكن الخلوصل إلى جملة من النتائج في هذا المضمار من أهمها:

- 1 . أن التنمية المستدامة أو التنمية البشرية باتت تتطلع إلى أفق أوسع من المدلول الاقتصادي، وأنها تراهن على حياة متوازنة وآمنة لمختلف أفراد المجتمع بما يكسبها بعد إنسانيا واجتماعيا يقوم على العدالة والتكافل لا على الصراع والطبقية .
- 2 أن للتراث بمختلف تجلياته سلطة معنوية تكفل لأفراد المجتمع الواحد أن يلتفوا حول مجموعة من القيم ويجسدوها من خلال سلوكهم العملي والعاطفي.
- 3 أن المثل الشعبي واجهة للتراث وشكلا من أشكاله الأدبية، قد احتضن قيمة العمل ومجدها ووظف مداخل مختلفة وآليات متنوعة للإغراء بها والحمل على الإقبال عليها.
- 4 أن الأمثال التي تروج للتراخي والبطالة وتمجد الكسل أو التواكل ليس لها طابع تمثيلي للوجدان الجمعي ، بما يجعلها محصورة ، بالإضافة إلى أن عددا من تلك الأمثال ليس في حقيقته سوى تحوير لدلالات أولية تحض على الزهد والقناعة غالبا. ولكن وبحكم انفتاحها الدلالي استغلت لتمجيد التراخي والتسويق والتواكل وغيبت دلالاتها الأصلية.

## فهرس المصادر والمراجع:

### المصادر:

1. الأمثال الشعبية الجزائرية بالأمثال يتضح المقال، قادة بوطارن
2. الأمثال الشعبية الجزائرية، عبد المالك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، دت.
3. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.

### المراجع:

1. برامج الأمم المتحدة الإنمائية، تقرير التنمية البشرية لعام 1990، نيويورك، جامعة أكسفورد القاهرة، وكالة الأهرام للإعلان.
2. التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، العايب عبد الرحمن، أطروحة دكتوراه مخطوطة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة سطيف، 2010 / 2011.
3. التراث الشعبي والتنمية بحث في العلاقة، عريف عبد الرزاق، حليلو نبيل، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع30، 2017.
4. التراث والهوية، د/عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو 1432هـ/2011م، الرباط، المملكة المغربية.
5. المشاكل الإيقاعي والدلالي في نص المثل الشعبي، محمد سعيدي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، 2009.
6. التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، التلي بن الشيخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
7. خالد أبو شادي، الحرب على الكسل، طيبة، القاهرة، ط1.
8. في التراث والشعر واللغة، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
9. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، ط1 (1979)، ط2: (1984).
10. الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مجموعة من المؤلفين، الرابطة الولائية للفكر والإبداع، بولاية الوادي، مزار للنشر، 2006.

### المواقع الإلكترونية:

1. صورة العمل ودلالاته الاجتماعية والثقافية في المثل الشعبي الجزائري، محمد سعيدي إنسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية : <https://journals.openedition.org/insaniyat/11442>.